جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

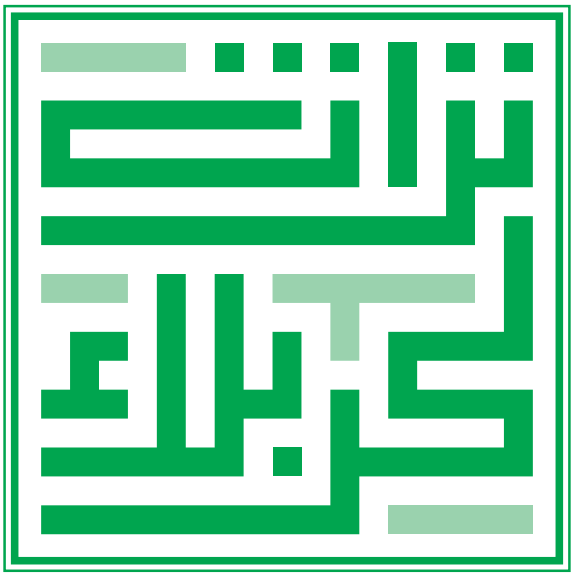

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مركز تراث كربلاء

السنة الثالثة/ المجلّد الثالث/ العدد الرابع

شهر صفر الخير ١٤٣٨هـ / تشرين الاول ٢٠١٦م

التَّنميةُ البشريةُ في المسيرةِ الحسينّيةِ

Human Development in Imam Husain 's March

م.د. حازم طارش حاتم

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

Lect. Dr. Hazim Tarish Hatim
Al- Imam Al- Kadhim Uuiversity College for Islamic Sciences

Dr.hazim_tarish@yahoo.com

الملخص

تتناول هذه الدراسة قضية مهمة في التاريخ الإسلامي الأول، الذي يعد منطلقاً مهماً في مسألة التطور والنمو الإنساني منذ بزوغ فجر الإسلام على يد النبيّ محمد (ﷺ)، حيث يمثل القرآن الكريم محوراً مهماً في فهم كثير من قضايا التنمية البشرية، وكذلك السنة النبوية الشريفة، وهذان الرافدان قد تبناهما سليل العترة النبوية الطاهرة الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد سلطنا الضوء في هذه الدراسة على أهمية المسيرة الحسينية ومتبنياتها في أبعادها كافة ولا سيما الإنسانية منها .

فالمسيرة الحسينية قد شكلت مشروعاً تنموياً مهماً، وسعت خيارات الإنسان المشروعة كفلت له السعادة في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة .

وفي ضوء هذا الأفق تعمل المسيرة على (التغيير الإيجابي) وعلى جميع الصعد ، في ضوء مخطط علمي ، وقائد قد استشعر المسؤولية ، وسعى إلى إيجاد التواصل والتتابع مع هموم الأمة ، فزرع فيها الأمل والحياة في تجديد المفاهيم القيّمة ، وتطبيقها في الواقع العملي حتى لا تبقى رهينة التنظير والقول .

وهذه الصناعة الحسينية للمشهد الإنساني، هي الكفيلة ببقاء تلك المسيرة على مر الدهور ، وهي نبراس عز يفخر بها الإرث الإنساني ، وهي الكفيلة بهز عروش الظالمين والطغاة ولو بعد حين .

Abstract

This study tackles an important issue in the first Islamic history as it is considered a starting point for development and human development since the emergence of Islam at the hand of the Prophet ،Muhammed (pbuh & progeny) the Holy Quran is the major core for understanding many of the human development issues in addition to the auspicious Prophetical Sunna . These two sources (tributaries) were adopted by Imam Husain ،the grandson of the Prophet (pbuh & progeny) . Accordingly ،we shed light ،in this study ،on the significance of Husainy›s march ،its adopted principles in all dimensions and in particular human ones . All Husainy›s march represented a developmental project which provided different al ternatians for human beings in the light of legitimacy which guaranteed welfare and happiness both in this world and the her after . In the light of this horizon،the Husainy›s march contributes to the (positive change) on all levels according to a scienti-

ficplanning and a leader who feels responsibility and who makes every effort to achieve communication and be in touch with the peoples) (Ummah) concerns and need ; he renewed hope and life through renew–ing the concepts of values and their application in the real world in order for it not to stay within the domain of theory and words .

This Husainy)s industry of the human scene is the only warranty ،all over the ages for the Husainy)s march; it is a lamp of honour of which human heritage is proud and it ensures the possibility of achieving victory over the tyrants (the injust) even after sometime .

المقدمة

هذا البحث محاولة تتخذ من النصوص الدينية الداعمة لمنظور التجربة الحسينية وفق قراءة معاصرة لمفاهيم جديدة، شكّلت الحيز الأكبر في المنظومة المعرفية في الأوساط الأكاديمية والمؤسسات الاقتصادية.

وأصبحت عصب الحياة؛ لأنها تعمل على (الإنسان) في تطوير قدراته وأدواته ووسائله، وتعمل (بالإنسان) لزيادة عموم إنتاجه المعرفي على جميع المستويات، وعن طريق ذلك تتحقق رغبات الإنسان، فتحقق السعادة التي ينشدها.

والمسيرة الحسينية إصلاحية، أو يمكن القول بأنها مسيرة انتصار القيم والمبادئ الفاضلة، التي تحفظ للإنسان كرامته وعزته، وتحافظ على (إنسانيته)، فالمسيرة الحسينية تعتني بالإنسان، وتسعى إلى حفظ هويته، وعدم التجرد منها، لذا أضحت المسيرة الحسينية محطة أنظار المتناقضين:

الأول: المصلحون، الثائرون، الأحرار، الذين يبحثون عن القيم والمبادئ التي تحفظ لهم إنسانيتهم

الثاني: الظالمون، الطغاة، الذين يعادون القيم والمبادئ، وهذه المبادئ تعكر صفوة حكمهم .

ففلسفة خلود هذه المسيرة تحاكي (الإنسان) بمعزل عن (المكان والزمان)، وتحافظ على قيمه ومبادئه الإنسانية، وتحقق للإنسان السعادة والحياة الكريمة، وتكشف له عن:

١- المشكلات الواقعية التي يعاني منها .

٢- المعالجات الواقعية لهذه المشكلات .

وترسم كذلك له في المستقبل خطوط التوازي بين القيم والمبادئ الصاعدة التي تحفظ له هويته الجوهرية و القيم والمبادئ، ونتائج ذلك السلوك الذي يمثل المرآة العاكسة لما يؤمن به الإنسان .

وسرّ ديمومة هذه المسيرة (التنمية البشرية) على مدار الأزمان، وعنصر رفد وتعزيز للأجيال على عموم الإنسانية، فهي باقية لبقاء الإنسان، فهو غايتها وعنصر ديمومتها.

قُسّم البحث على ثلاثة محاور رئيسية : المحور الاول كان تحت عنوان التنمية البشرية في اللغة والاصطلاح فيما كان المحور الثاني تحت عنوان خصائص التنمية البشرية في المسيرة الحسينية، وأما المحور الثالث فلقد تناولنا فيه اهداف التنمية البشرية في المسيرة الحسينية.

التنمية البشرية في اللغة والاصطلاح:

من المهم أن نقدم تعريفاً لغوياً للتنمية البشرية قبل الخوض في معناها الاصطلاح.

اولاً: التنمية لغةً :

الدلالة اللغوية في المعجمات العربية لمصطلح (التنمية) نجدها تحت مادة (نما)، قال الفراهيدي(ت ١٧٥ هـ): «نما الشيء ينمو نموّاً، ونمى ينمي نماءً، وأنماه الله: رفعه، وزاد فيه»[١].

فالدلالة التي خرج إليها المصطلح (الرفع والزيادة) وهذه الدلالة هي الشائعة في أغلب المعجمات العربية، وتدل حركية الفعل (نما) بالاتجاه الحسن، فضلاً عن ذلك فان هذه الحركية مخطط لها وليست ذاتية.

والجذور التاريخية لمصطلح (التنمية) مرتبطة بالجانب الاقتصادي، ويراد منه مجموعة إجراءات عملية تهدف إلى زيادة الإنتاج في الحقل الاقتصادي.

البشرية لغة:

الدلالة اللغوية في المعجمات العربية لمصطلح (البشرية) نجدها تحت مادة (بشر)، جاء في لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ): «البشر الخَلْق يقع على الأنثى والذكر والواحد والاثنين والجمع لا يثنى ولا يجمع، يقال هي بشر وهو بشر وهما بشر وهم بشر».

أمّا ابن سيدة، فقال: «البشر الإنسان الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء، وقد يثنى، وفي التنزيل العزيز ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾(٢)(٣).

وعند إضافة (ياء النسب) إلى المصطلحين، والجمع فيما بينهما يصبح المصطلح (التنمية البشرية)، وهذا المصطلح يستدعي ويستحضر الدلالة اللغوية، فيكون المعنى الذي خرج إليه (الرفع والزيادة للإنسان)، فعلى هذا الأساس يكون موضوع (التنمية البشرية) (الإنسان) .

لذلك نجد الدلالة المعجمية لم تبتعد كثيراً عن الدلالة الاصطلاحية في ترسيخ هذا المفهوم

ثانياً: التنمية البشرية في الاصطلاح:

يقول العالم الاقتصادي (محبوب الحق)[٤]: إنّ التنمية «عملية تهدف إلى زيادة القدرات المتاحة أمام الإنسان»[٥].

وعرف الدكتور عبد الهادي الجوهري (التنمية البشرية) بأنها «التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال أيديولوجية معينة؛ لتحقيق التغيير المستهدف من أجل الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب الوصول إليها»[٦].

وهذا التعريف يؤشر مجموعة من أسس التنمية البشرية وهي:

١- التحريك العلمي المخطط للتغيير .

٢- أيديولوجية التحرك نحو التغيير .

٣- المشكلات المراد لها التغيير .

في ضوء تعدد المفاهيم، وتعدد زوايا النظر تعددت التعريفات، فلم يكن هناك تعريف جامع مانع، والسبب حداثة هذا العلم، وكثرة حيثياته؛ لذا وجدنا من الضروري الوقوف على منطلقات (التنمية البشرية)[٧] ومما يُلاحظ الآتي: الإنسان هو رأسمال التنمية البشرية، وموضوعها، وهو الوسيلة والغاية في الوقت نفسه .

التنمية البشرية لا تتحقق إلا بوجود تطبيقات عملية على أرض الواقع، وإلا فقدت مصداقيتها .

مساحة العمل في التنمية البشرية واسعة تسع جميع مجالات الحياة .

غايات التنمية البشرية :

يحدد القرنشاوي غايات (التنمية البشرية) بقوله: «هي إحداث مجموعة من التغييرات الجذرية في مجتمع معين، بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر»(٨).

وغايات التنمية البشرية في المعارف الإسلامية مشروطة بالمشروعية، فليس كل الخيارات متاحة أمام التغيير والتعديل؛ لذا قيل عنها: «عملية ترمي إلى توسيع خيارات الإنسان المشروعة، وتطوير قدراته وإسنادها من أجل استثمارها خدمة لمشروع يكون رأسماله الإنسان، وهو الوسيلة والغاية؛ لأنه هو جوهر التنمية وموضوعها ومحورها وهو رأسمال الحضارات»(٩).

المحور الثاني: خصائص التنمية البشرية في المسيرة الحسينية:

المسيرة الحسينية امتداد طبيعي للحركة الاصطلاحية التي ينشدها القرآن الكريم ﴿كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾(١٠)، ومحور هذه الحركة (الإنسان)، لأن (الإنسان) تتجاذبه قوى الخير والشر ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾(١١).

فالإصلاح هو الباعث الأساس في حركته (عليه السلام): «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن آمر بالمعرف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»(١٢).

وأخذ يؤكد هذا الإصلاح ومحوريته في مسيرته «إنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلَكين»(١٣).

وهو بذلك يؤكد الامتداد الإصلاحي الرباني في مسيرته، (أدعوكم إلى سبيل الرشاد)، وخصائص هذا الإصلاح شكّلت محاوراً جوهريةً في التنمية

اولاً: قرآنية المسيرة :

الخطاب القرآني خطاب كوني يحاكي البشر جميعاً ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(١٤) وخطاب المسيرة خطاب طولي مع الخطاب القرآني، فقد نُقل أنّ الحسين (عليه السلام) لما سار إلى مكة، قال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١٥)، وعندما دخل مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(١٦).

والمقصدية المراد لها ربط حركة الإمام الحسين (عليه السلام) بحركة النبي موسى (عليه السلام) الإصلاحية ،ليتضح:

أولاً: أنّ يزيد (لعنه الله) سار على نهج فرعون الذي بيّن القرآن الكريم الكثير من ملامحه .

ثانياً: أنّ الحسين (عليه السلام) يمثل نهج نبي الله موسى (عليه السلام)، الذي سعى إلى تكوين شيعة قادرة عل التغيير الجذري والإصلاح الحقيقي، وقد عُرف عن موسى (عليه السلام) أنه أراد أن يكون من المصلحين، بدلالة قول الإسرائيلي الذي أراد (عليه السلام) نصرته ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾(١٧).

ثالثاً: أنّ الحسين (عليه السلام) لم يخرج هارباً من الخطر متنصلاً من المسؤولية، بل إن هجرته إنما هي خطوة في طريق التغيير كما كان خروج موسى (عليه السلام) [١٨]. فمبدأ (الشمولية) المتحقق في المسيرة الحسينية، مبدأ عام في التنمية البشرية «تقتضي تحقيق الاحتياجات البشرية كافة»[١٩]، وهذا ما يفسر صلاح الحركة الحسينية لكل المصلحين، فهي لم تتقيد بحدود (الزمن والمكان) .

ثانياً:إنسانية المسيرة :

حركة الإمام الحسين (عليه السلام) حركة إنسانية أراد فيها تحريك وجدان الأمة التي غلب عليها الجهل والظلم، فقال (عليه السلام): «أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول (صلى الله عليه وآله)، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتبّاً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين، أيها الناس انسبوني من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم، وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟

ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله، والمصدق برسوله بما جاء من عند ربه .

أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟

أو ليس جعفر الطيار عمي ؟

أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة»[٢٠].

فحركة استرجاع الذاكرة في (انسبوني من أنا ؟)، وتوالي حركة الاستفهامات

التي تمثل حضور أطراف الحوار وجهاً لوجه، فضلاً عن ذلك تقرير الحقائق الواقعية في أذهانهم، وتوظيف الحديث النبوي الشريف المتواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله): «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٢١]، والحسين (عليه السلام) أراد أن يخلُق جوّاً يثير فيه وجدان المتلقي ومشاعره ، عسى أن يعود عن بغيه وعدوانه ، ويتحرر من قيود الجهل ، ويستذكر النبيّ (صلى الله عليه وآله).

فمبادئ (الاسترجاع) و(الواقعية) و(الأخلاق) و(والتطبيق) و(التقويم) هي مفاهيم قرآنية: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا﴾[٢٢]، والحسين (عليه السلام) جسد هذه المفاهيم؛ لأن الإنسان في ميزان الإسلام مركز الكون ومحوره، فإذا صحّ الإنسان صحّ الكون، وإذا فسد الإنسان فسد الكون[٢٣]، وهذه المفاهيم معايير في التنمية البشرية .

ثالثاً: ثوابت القيم في المسيرة

تسعى المسيرة الحسينية إلى غرس القيم السماوية في نفوس الأفراد من أجل تحقيق (العدالة الاجتماعية) بتطبيق قوانين السماء، وفي قبال ذلك نبذ قيم (الفساد، والجور، والجهل، ...)، والاحتكام إلى العقل .

فمن القيم السماوية في خطاب المسيرة الحسينية قوله (عليه السلام): «فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»[٢٤]، فالحق، والصبر، والحاكمية، قيم سماوية، جاء بها الخطاب من أجل تحقيق التواصل، وإيجاد التفاعل، حتى يقع الأثر، فتلزم الحجة على المتلقي، وهذا السياق الإقناعي زاد في قوته

توظيف النص القرآني «وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين» (٢٥)، يزيد في فاعلية الخطاب، ويزيده قوة وأثراً في النفوس.

ومن القيم التي كانت محل الرفض والنبذ قوله (عليه السلام): «ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»(٢٦).

فالقيم الهابطة (الذل، طاعة غير الله) ، رفضها الخطاب الحسيني؛ لأنها ليست محل القبول والرضا من قبل (الله ورسوله والمؤمنين)، قال الله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾(٢٧).

وقد أكد الرفض وناهضه بشدة بقوله: «والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد»(٢٨)، وهذا الرفض يؤكد قيمة حسينية عالية، تمثل (الإرادة، والشجاعة، والقوة، والثبات على الحق) .

وكذلك من القيم الهابطة التي رفضها الخطاب الحسيني (الغدر، والخيانة)، قال (عليه السلام): «تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم»(٢٩).

وثبات هذه القيم المراد منه: «ضبط الحركة البشرية حتى لا تصل في مشاعرها وأفكارها وتصوراتها ونظمها الحيوية، إلى الهوى والمجون والخرافة»(٣٠).

وبهذا تحقق التنمية، بإبعاد الإنسان عن كل ما من شأنه يفقده هويته الإنسانية ونقلها من حال إلى حال أحسن تليق بمقام الإنسان .

رابعاً: أيديولوجية المسيرة:

المنظومة المعرفية للمسيرة الحسينية منظومة (ملكوتية)، بين الإمام الحسين (عليه السلام)ذلك قبل خروجه إلى العراق، قال:«الحمد لله ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد ادم مخط القلادة على جيد الفتاة، و ما أولهنى إلى إسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأن بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهى مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»(٣١).

وقد تجسد الجانب الملكوتي في قوله: «وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»، وقوله: «رضا الله رضانا أهل البيت»، وهذا التلازم ولّد تواصلاً وتتابعاً بين الحسين (عليه السلام) وأسلافه، والحسين (عليه السلام) مع قومه؛ لأن استحضار واستدعاء هذه المتلازمات يولد مقصداً في تبني المشروع النهضوي، وهذا ما يبرز نعي الحسين نفسه في بداية الخطبة، ثم ينقل الخطاب إلى أتباعه وأنصاره «من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا»، وهنا ترسم ملامح القائد الناجح في تبني مشروعه الإصلاحي، وإجراءاته التطبيقية

المخطط لها مسبقاً، وهو بذلك يريد «استحداث بيئة يمكن للأفراد من خلالها تطوير كامل إمكانياتهم وعيش حياة منتجة وفقاً لحاجاتهم ومصالحهم[٣٢].

في ضوء ما تقدم نجد خيارات الإنسان مقيدة ومشروطة؛ لأنها تقوم على أسس وثوابت قارة، لا تتغير بتغير الزمان والمكان؛ لذا عرفت التنمية البشرية بأنها «عملية ترمي إلى توسيع خيارات الإنسان المشروعة وتطوير قدراته وإسنادها من أجل استثمارها خدمة لمشروع يكون رأسماله الإنسان، وهو الوسيلة والغاية؛ لأنه هو جوهر التنمية وموضوعها ومحورها وهو رأسمال الحضارات»[٣٣].

المحور الثالث: أهداف التنمية البشرية في المسيرة الحسينية:

هدف المسيرة الحسينية (الإصلاح الايجابي» الذي يوفر (العدالة الاجتماعية) للأفراد داخل المجتمعات مما يحفظ (كرامة الإنسان) وتحدد خياراته وترسم مساراته في التعاطي مع قضاياه فالمسيرة الحسينية أرادت انشاء قواعد سلوكية يعضد فيها (مفاهيم قرآنية) تمثل السلوك الحق وهذا الامتداد أشار إليه (عليه السلام بقوله) (فمن قبلني بقول الحق فالله أولى بالحق) وقوله (وما أوهلني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف) .

وهذه القواعد السلوكية هي على طرف نقيض مع المعسكر الآخر الذي أخذ يكرس كل الطاقات والوسائل في سلب (خيارات الإنسان) التي أتاحها الله له .

اولاً: الخلافة:

المسيرة الحسينية أرادت إثبات بطلان (حاكمية) هؤلاء الأفراد ،وتولي مسؤولية الأمة وتولي هؤلاء يعود بالضرر الجسيم على الأمة ،هذا ما يستلزم قيامه لان منطقه غير (براغماتي) نفعي ،ولا بمنطق الغدر والكبر ،بل هو محض إيثار وعقيدة وشهادة في سبيل الرسالة السماوية[٣٤]،لذا قال الإمام الحسين (عليه السلام) « أفتشكون إني ابن بنت نبيكم ،فوالله مابين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم إنا ابن بنت نبيكم خاصة)

ويحكم !! أفتطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص من جراحه ؟ فاخذوا لا يكلمونه » [٣٥].

فحركة الاستفهام (أفتشكون) و (أفتطلبوني) مع القسم (والله) ولّد تكثيفاً دلاليّاً يعكس فيها حالة الجهل التي تعيشها الأمة في ذلك الوقت وقد تجسد ذلك في استعماله الضمائر الإشارية (أنا ابن بنت نبيكم خاصة) بخلق جو من المقارنة بينه وبين الآخر – يزيد – وأنه أحق بالخلافة منه

والحسين (عليه السلام) في كل ذلك يظهر مسؤوليته اتجاه الأمة الإسلامية في محاولة فتح خيارات جيدة أمامها تحفظ لها كرامتها وهذا التكليف لم يتنصل منه الحسين (عليه السلام) «وهكذا أسقطت فكرة السلطات والخليفة ،باعتبارها حماة الإسلام على حساب الجماهير والفكر الجماهيري الحق ،وفرز الجمع إلى معسكرين معسكر الإسلام في جهة ومعسكر الخليفة والسلطان في جهة المقابلة » [٣٦].

ثانياً امتثال لأمر الله :

إنّ سلوكيات الأفراد داخل المجتمعات تحكمها ضوابط ، وسلوك الحسين (عليه السلام) تحكمه ضابطة (الامتثال لأمر الله) ، فقال : (عليه السلام) « ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما » (٣٧).

والحسين (عليه السلام) مع إطاعة الأمة له قام بتكليفه الشرعي ، وأدى وظيفته الجوهرية بتوجيه وإرشاد الأمة إلى الطريق الذي يحقق لها سعادتها، وهذا الإجراء التطبيقي العملي يشكل مفصلاً مهماً في الحركة التنموية في المسيرة الحسينية ، لأنها تمثل النظرية في بعدها الإجرائي ، فيستلزم منها الواقعية ، فيتولد الأثر في نفوس الأجيال جيلاً بعد جيل ، وهذه (الواقعية) من مبادئ التنمية الأساسية .

ثالثاً: تغيير مفاهيم راسخة :

إنّ الحسين (عليه السلام) في مسيرته يقدم مفاهيم جيدة عن (اللذة والمنفعة) إذ ينتقل بالإنسان من (اللذة المادية) إلى (اللذة المعنوية) ، فالحسين (عليه السلام) يقدم أطروحته في (الموت) فيقول : « إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما » .

الموت = سعادة في تلبية أمر الله .

الحياة = شقاء مع الظالمين .

ومن المفاهيم التي قدمها (إن الأشياء لا قيمة لها إن لم يكن لها حضور وفاعلية في ساحة الله) ، وهذا ما دفع به إلى أخذ أهل بيته ، وهذا (محض

طاعة الله) ، وامتثال أمره ، وهو بذلك يريد أن يقول : إن الأمر الذي هان عليكم بأبسط الأشياء من زخرف هذه الحياة الدنيا كبر عندي ، وهو بذلك يزرع الثقة والروح المعنوية في جسد الأمة من جديد ، فالحسين (عليه السلام) « لم يكن يكافح ضد شخص يزيد ، فالحسين (عليه السلام) أكبر من أن يكون هدفه شخصاً أو فرداً بعينه فهدفه كان في الحقيقة كلياً ، وشاملاً ، وأساسياً » (٣٨).

رابعاً: كشف معوقات التنمية:

خروج الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن عبثياً ، بل أراد كشف المعوقات في تنمية المجتمعات ومن هذه المعوقات (جهل) الأمة، فما كان (عليه السلام) إلا أن يضحّي بالغالي والنفيس عسى أن تستفيق هذه المجتمعات ، لأن الجاهل لا يستطيع أن يحدد خياراته الصحيحة ويكون تحت سلطة السلطان يلعب به كيف شاء ، لهذا تسعى السلطات الجائرة إلى تجهيل المجتمعات ، حتى يسهل السيطرة على خياراتها .

ومن المعوقات التي يستهدفها الإمام الحسين (عليه السلام) (عدم الشعور) بالمسؤولية ، والتنصل عن التكاليف المناطة بالأفراد ، وهذا مصداق قوله تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٣٩).

ومن المعوقات (حب الدنيا) مع أن الدنيا متصرفة بأهلها فانية متقلبة الأحوال من حال إلى حال ، والجاهل من فُتن بها ، والوقوف على المعوقات وتشخيصها يحدد نقطة الانطلاق الأولى في بناء الإنسان وصناعته من جديد، وهذه من عوامل التنمية الحقيقية ، والأسس الثابتة في الحركة الإنمائية

الخاتمة

أثبت البحث أن المسيرة الحسينية تخاطب الإنسانية جمعاء ، وتقص أحوال أناس خرجوا من دائرة الإنسانية ، فلم يجدها (زمان أو مكان) ، والإنسانية أدركت ذلك وشعرت بالخطاب الحسيني ، وهذا الخطاب خطاب قيمي به تتحقق إنسانية الإنسان ، لأنه امتداد طبيعي للخطاب السماوي الرباني ، فالاقتراب من الحسين (عليه السلام) بالقول والعمل تتحقق إنسانيته، والابتعاد عن الحسين (عليه السلام) بالقول والعمل يفقد هويته الإنسانية .

والمنجز العملي للمسيرة الحسينية الحفاظ على (القيم السماوية) عن طريق الحث على إيجادها في السلوك العملي الإجرائي ، وهذا العمل جزء من الوفاء للحسين ، وحتى لا يستشهد الإمام الحسين (عليه السلام) من جديد يجب الحفاظ على هذه (القيم السماوية) .

فالمسيرة الحسينية شكّلت مشروعاً تنمويّاً وسعت خيارات الإنسان المشروعة ، كفلت له السعادة في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة ، وفي ضوء هذا الأفق تعمل المسيرة على (التغيير الإيجابي) وعلى جميع الصعد ، في ضوء مخطط علمي ، وقائد يستشعر المسؤولية ، ويسعى إلى إيجاد التواصل والتتابع مع هموم الأمة ، فزرع فيها الأمل والحياة في تجديد المفاهيم القيمية فيها ، وتطبيقها في الواقع العملي حتى لا تبقى رهينة التنظير والقول .

وهذه الصناعة الحسينية للمشهد الإنساني ، هي الكفيلة ببقاء المسيرة الحسينية على مر الدهور ، وهي نبراس عز يفخر بها الإرث الإنساني ، وهي الكفيلة بهد عروش الظالمين ولو بعد حين .

الهوامش

١. لسان العرب: مادة (نما) .

٢. المؤمنون: ٧٤ .

٣. لسان العرب: مادة (بشر) .

٤. يصنف من أشهر خبراء الاقتصاد في العصر الحديث، باكستاني الجنسية، اعتنى وطور النظريات الخاصة بالمجتمع الإنساني، وله كثير من الدراسات والبحوث بهذا الشأن .

٥. أسامة العاني ، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية: ٣١ .

٦. عبد الهادي الجوهري ، دراسات في التنمية البشرية الاجتماعية، مدخل إسلامي: ١١١ .

٧. طلال فائق الكمالي ، ينظر: التنمية البشرية في القرآن الكريم – دراسة موضوعية –: ٥٠ .

٨. تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي: ٢٥ .

٩. طلال فائق الكمالي ، التنمية البشرية في القرآن الكريم – دراسة موضوعية–: ٦٦ .

١٠. سورة إبراهيم: ١ .

١١. سورة الشمس: ٧ – ١١ .

١٢. المجلسي ، بحار الأنوار: ٤/ ٣٢٩ .

١٣. مقتل الخوارزمي: ٢/ ٩ .

١٤. سورة الأعراف: ١٥٨ .

١٥. سورة القصص: ٢١ .

١٦. سورة القصص: ٢٢ .

١٧. سورة القصص: ١٩ .

١٨. السيد قاسم نوماس الحلو ، ينظر: حضور القرآن الكريم في ثورة الإمام الحسين: ٦-٧ .

١٩. إبراهيم العسل ، التنمية في الفكر الإسلامي: ١٠ .

٢٠. بلاغات النساء: ٣٨ .

٢١. سنن الترمذي: ٤/ ٤٩٦ .

٢٢. سورة الأحزاب: ٤٥ ، ٤٦ .

٢٣. ينظر: طلال فائق الكمالي ، التنمية البشرية في القرآن الكريم –دراسة موضوعية –: ٢١٣ – ٢١٤ .

٢٤. ابن شهر آشوب ،مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٤١ .

٢٥. سورة الأعراف: ٨٧ .

٢٦. الطبرسي ، الاحتجاج: ٢/ ٢٣ .

٢٧. سورة النساء: ١٣٩ .

٢٨. الاحتجاج: ٢/ ٢٣ .

٢٩. مقتل الخوارزمي: ٢/ ٩ .

٣٠. (مصطفى الزلمي، وعبد الباقي البكري)، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: ٤/ ٤١ .

٣١. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني: ٥٧ .

٣٢. ينظر: أسامة العاني ،المنظور الإسلامي للتنمية البشرية الاجتماعية: ٣٥ .

٣٣. طلال فائق الكمالي ، التنمية البشرية في القرآن الكريم – دراسة موضوعية –: ٦٥ .

٣٤. مرتضى المطهري ، الملحمة الحسينية : ٣ : ١٥١ .

٣٥. علي نظري منفرد ، قصة كربلاء : ٢٦٧ .

٣٦. الملحمة الحسينية: ٣/ ١٥١ .

٣٧. تاريخ الطبري : ٥ : ٤٠٣ .

٣٨. الملحمة الحسينية: ٢/ ٣٥ .

٣٩. سورة الرعد : الآية : ١١ .

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

١ .الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٢٠ هـ)، تعليقات: محمد باقر الموسوي الخرساني، منشورات ذوي القربى، قم، ط١ ، ١٤٢٦ هـ .

٢ .بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .

٣ .بلاغات النساء: أحمد بن أبي طاهر بن طيفور (ت ٢٨٠ هـ)، دار النهضة الحديثة، بيروت، ١٩٧٢ م .

٤ .تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي: حامد القرنشاوي، الكويت، ١٩٩٩م .

٥ .التنمية البشرية في القرآن الكريم – دراسة موضوعية-: طلال فائق الكمالي، مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة، ط١ ، ١٤٣٥ هـ .

٦ .التنمية في الفكر الإسلامي – عطاءات – معوقات – أساليب: إبراهيم حسين العسل، مجد المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، ط١ ، ٢٠٠٦ م .

٧ .حضور القرآن الكريم في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام): السيد قاسم نوماس الحلو، النجف الأشرف، العراق، ١٤٣٥ هـ .

٨ .دراسات في التنمية البشرية الاجتماعية، مدخل إسلامي: عبد الهادي الجوهري وآخرون، مكتبة النهضة الشرق، ط١ ، القاهرة، ١٩٨٢ م .

٩ .سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٩٧ هـ)، تحقيق:

محمود بن محمود حسن نصار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م .

١٠ .لسان العرب: ابن منظور: محمد بن كرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٦ م .

١١ .المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: د. مصطفى الزلمي، والأستاذ عبد الباقي البكري، المكتبة القانونية لصناعة الكتاب، ٢٠٠٦ م .

١٢ .مقتل الحسين (عليه السلام): أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، منشورات أنوار الهادي، قم، ط٣ ، ٢٠٠٥ م .

١٣ .مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، المطبعة العلمية، قم، (د. ت) .

١٤ .المنظور الإسلامي للتنمية البشرية: أسامة العاني، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، اتحاد كتاب وإحياء الإمارات، ٢٠٠٣ م .

١٥ .نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: العلامة الحسين بن محمد بن الحسين بن نصر الحلواني، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٨ هـ .